

﴿أُتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

تَذْكِيرُ الْعَبِيدِ

وَإِغَاظَةُ الشَّيْطَانِ الْمُرِيدِ

بِأَدْلَتِهِ وَجُوبِ التَّوْحِيدِ

رسالة في أدلة وجوب التوحيد وأهميته

كاتب: عبدالعزيز المعان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهَّار، والصلاة والسلام على النبي المختار، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن الله -عزّ وجل- قد خلقنا لأمر عظيم، قال تعالى: {وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون}؛ فلو لم يُنزل الله -عز وجل- إلا هذه الآية؛ لكفّت في القيام بحقه -عزّ وجل-؛ فكيف والإسلام كلّ قائم على هذا الأمر العظيم؟!
والتوحيد: هو التبعّد لله وحده، والخضوع له، وتصفية القلب من إرادة غيره، وإفراذه بالعبادات؛ كالصلاة والصيام والدعاء، فكلّ هذه الأمور تدل عليها كلمة: لا إله إلا الله.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يؤحدوا الله".

ومتى ما نُسي هذا الأمر العظيم تعلّماً وتعليماً، وعملاً ودعوةً وتذكيراً؛ فإنّ الشرك يدخل على الأمة.

فعن ابن عباس وهو يذكر قصة ودّ، ويغوث، ويعوق، ونسر من قوم نوح -عليه السلام- قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسَخ العلم عبُدت".

وانظر إلى صور العلماء الأموات في زماننا!، ومدى انتشارها في وسائل التواصل حتى تعلم خطوات الشيطان، وجبالته التي يصطاد بها الخلق.

ومن أدلة وجوب التوحيد وأهميته:

أولها: أنه الحكمة من خلق الناس، وما كان حكمةً لخلقهم؛ فهم مأمورون به.
قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وهذا خبرٌ مرادٌ به الطلب.

والعبادة المرادة من الخلق شرعاً: هي الموصوفة بالتوحيد.

قالت الرسل لأقوامهم: {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كلّ ما في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد". ذكره البغوي في تفسيره.

وثانيها: أن الله -عزّ وجل- أمر به، والأمر يفيد الإيجاب.

قال تعالى: {أمر ألا تعبدوا إلا إياه}.

وثالثها: أن الله بعث الرسل لأجل التوحيد، وطاعة الرسل واجبة؛ فالتوحيد واجب؛ لأنه من طاعة، والرسل أفضل الخلق وأكملهم، ولا يُعثون إلا لأمر عظيم.

قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت}.

ورابعها: أنه حقّ الله على عباده، والحق: اسم لما ثبت ولزم؛ فهو يدلّ على

وجوب المذكور معه.

في الحديث: "فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً".

وخامسها: أن الله نهى عن الشرك، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده، وهو التوحيد.

وسادسها: أن الله لم يَنْهنا عن الشرك فحسب، بل ألزمنّا باجتناب الشرك،

والاجتناب تركٌ للشيء مع مباعدة الأسباب الموصلة إليه.

قال تعالى: {واجتنبوا الطاغوت}، وقال: {فاجتنبوا الرجس من الأوثان

واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به}.

وسابعها: أنّ التوحيد من وصية النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أوصى بالقرآن. والقرآن قائم على الأمر بالتوحيد، والنهي عن ضده، والوصية: اسم لما عظم قدره من المأمورات؛ فيكون التوحيد مأموراً به، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمته؛ فليقرأ: {قل تعالوا أثّل ما حرم ربكم عليكم}، إلى قوله: {وأن هذا صراطي مستقيماً}."

وثامنها: أنّ الجنة محرّمة على غير أهل التوحيد.

وتاسعها: أنّ جعلَ إلهٍ مع الله سببٌ لدخول النار، قال الله: {ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم}، والعباد مأمورون باتّقاء جهنّم، ولا يحصل ذلك إلا بنفي ألوهية كلّ إله سوى الله، وهذه حقيقة التوحيد.

وعاشرها: أنّ ترك التوحيد سببٌ من أسباب الخلود في النار، قال عيسى عليه السلام:

{إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار}، وقال الله: {إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنّم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريّة}.

والحادي عشر: أنّ تارك التوحيد هو شرّ الناس بل شرّ البريّة والخلقة.

والثاني عشر: أنّ الشرك ظلّم عظيم، والظلم يجب اجتنابه شرعاً، وفطرةً، وعرفاً،

قال لقمان عليه السلام: {يا بني لا تُشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم}.

والثالث عشر: أنّ الله شرع المحاربة لأجله، وحفظُ النفس واجب؛ فحين أحلّ

إزهاقها؛ دلّ على واجبٍ أعظم من هذه النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله."

والرابع عشر: أن الله أحلّ الغنيمة لأجل التوحيد؛ فحين تعارضت ضرورة التوحيد، وضرورة المال الواجب حفظها؛ قُدِّم التوحيد؛ فيكون التوحيد واجباً، بل أوجب الضروريات الخمس.

والخامس عشر: أنه لا مُنعم حقيقة إلا الله، وشكر المُنعم واجبٌ شرعاً، وفطرةً، وعرفاً، قال تعالى: {وما بكم من نعمة فمن الله}، وهذه من عمومات أفعال الله التي لا مخصص لها، وقال تعالى: {واشكروا لي ولا تكفرون}؛ فحقُّ المنعم على المنعم عليه أن يشكره، ولا يكفره، وشكر الله إنّما يكون بعبادته وحده.

قال تعالى بعد أن ذكر إنعامه على خلقه: {كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون}؛ فالإنعام سببٌ وموجبٌ لأنْ نقوم بالإسلام، والإسلام إنما هو: الاستسلام لله بالتوحيد. ثم قال بعدها: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: يعرفون أن الله -تعالى- هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره"، انتهى كلامه رحمه الله وغفر له.

والسادس عشر: أنه لا ربَّ إلا الله، والربُّ هو المستحق للعبادة، فواجبٌ أن يُعبد الله ربّاً ويوحّد، كما قال تعالى: {يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون}، والله يذكر الربوبية ليلزم الخلق بلازمها من الألوهية، وهي من أمّهات القواعد التفسيرية المتعلقة بآيات الربوبية، فكلّ آية فيها ذكر الربوبية، فليس المراد بها الثقافة ومجرّد العلم وإنما المراد القيام بلازم الربوبية وهو توحيد الألوهية، ومن ذلك: {ربّ السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً}.

والسابع عشر: أن الله عزّ وجلّ عظيمٌ، له الأسماء الحسنی، والمثل العليا، ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير، لا ندّ له، ولا سميّ له، ولم يكن له كفواً أحد. ومن كان كذلك؛ فهو المستحق لأن تتوجه له القلوب وحده بالحبّ والخضوع والخوف، وهذا هو معنى التألّه، كما قال: **{واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً}**. **والثامن عشر:** أنّ التوحيد قضاء الله الشرعي، وقضاؤه أمر، بل أمرٌ عظيم. قال تعالى: **{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}**.

والتاسع عشر: أن الله يقرن التوحيد بكثير من المأمورات، بل يقدمه عليها، ويبتدأ به؛ فيدلّ على أنها مشتركة في الأمر بل أعظمها؛ فإنّما يُبدأ، ويُقدّم الأهمّ والأعظم، قال تعالى: **{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}**؛ فقضية المسلمين الأولى: هي التوحيد، وما بعدها من القضايا تابعة لها.

والعشرون: أنّ الشرك مبطلٌ للعمل، والله قد نهى عن إبطال الأعمال. قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم}**، قال الطبري رحمه الله: "يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم؛ فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح".

والحادي العشرون: أنّ الشرك محبطٌ للعمل، **{أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم}**، أي: لم يوحدوا الله حقّ توحيده.

والثاني والعشرون: أنّ الشرك من معانيه: الشراكة والاشتراك، وذلك ينافي الأحديّة، والأحديّة صفة الرحمن، قال تعالى: **{قل هو الله أحد}**؛ فالله أحدٌ في ربوبيته، أحدٌ في ألوهيته، أحدٌ في أسمائه وصفاته.

وقد وصف أحد الصحابة هذه السورة بصفة الرحمن، وأقرّه النبي صلى الله عليه وسلم.

والثالث والعشرون: أنّ الشرك سبب للخسارة، والنجاة من الخسارة واجبة، ولا يكون إلا بترك الشرك، قال تعالى: **{ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين}**.

وحاشاه -صلى الله عليه وسلم- أن يقع منه، ولكنّ ذلك إنذارٌ؛ وبلاغٌ للأمة بعده بهذا الأمر العظيم.

فعلى المسلم أن يُعَظِمَ ما عَظَّمَهُ اللهُ، وأن لا يغفل عنه طرفة عين؛ فإنّ الغفلة عنه سبب من أسباب الهلاك.

قال تعالى: **{وَدِّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً}**، وطالب العلم سلاحه القرآن، وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم والاجتهاد في إقامة دين الله عز وجل.

فاللهم أحيينا على الإسلام والسنة، وأمّتنا على الإسلام والسنة.

والحمد لله رب العالمين

واحرص على تعلّم التوحيدِ ذا مراسٍ مالِ العابدِ الوحيدِ

تم بفضل الله

آخر نهار الحادي والعشرين من جادى الأولى عام ست وأربعين وأربع مئة وألف، وأعيد ترتيبها نهار العشرين من ربيع الثاني عام ثمان وأربعين.
في الكويت عَمَرَهَا اللهُ بالإسلام والتوحيد والإيمان والسنة

**اللهم صلِّ على خير الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله على فضله**